@ 269 @ مع ا ، التي يتقرب إلى ا بإهانتها وسبها . ولكن لما كان هذا السب ، طريقا إلى سب المشركين لرب العالمين ، الذي يجب تنزيه جنابه العظيم ، عن كل غيب ، وآفة ، وسب ، وقدح نهى ا عن سب آلهة المشركين ، لأنهم يتحمسون لدينهم ، ويتعصبون له . لأن كل أمة ، زين ا لهم عملهم ، فرأوه حسنا ، وذبوا عنه ، ودافعوا بكل طريق . حتى إنهم ، يسبون ا ، رب العالمين ، الذي رسخت عظمته في قلوب الأبرار والفجار ، إذا سب المسلمون آلهتهم . ولكن الخلق كلهم ، مرجعهم ومآلهم ، إلى ا يوم القيامة ، يعرضون عليه ، وتعرض أعمالهم ، فينبئهم بما كانوا يعملون ، من خير وشر . وفي هذه الآية الكريمة ، دليل للقاعدة الشرعية وهي أن الوسائل تعتبر بالأمور التي توصل إليها ، وأن وسائل المحرم ، ولو كانت جائزة ، تكون محرمة ، إذا كانت تفضي إلى الشر . ^ (وأقسموا با جهد أيمانهم لئن جآءتهم آية ليؤمنن بها قل إنما الآيات عند ا وما يشعركم أنهآ إذا جآءت لا يؤمنون * ونقلب أفئدتهم وأبصارهم كما لم يؤمنوا به أول مرة ونذرهم في طغيانهم يعمهون * ولو أننا نزلنآ إليهم الملائكة وكلمهم الموتى وحشرنا عليهم كل شيء قبلا ما كانوا ليؤمنوا إلا أن يشآء ا ول كن أكثرهم يجهلون) ^ أي وأقسم المشركون المكذبون للرسول محمد صلى ا عليه وسلم . ! 2 2 ! أي : قسما اجتهدوا فيه ، وأكدوه . ! 2 2 ! تدل على صدق محمد صلى ا عليه وسلم ! 2 2 ! . وهذا الكلام الذي صدر منهم ، لم يكن قصدهم فيه ، الرشاد . وإنما قصدهم ، رفع الاعتراض ، ورد ما جاء به الرسل قطعا . فإن ا أيد رسوله صلى ا عليه وسلم ، بالآيات البينات ، والأدلة الواضحات التي عند الالتفات إليها لا تبقى أدنى شبهة ولا إشكال في صحة ما جاء به . فطلبهم بعد ذلك للآيات ، من باب التعنت ، الذي لا يلزم إجابته ، بل قد يكون المنع من إجابتهم أصلح لهم . فإن ا ، جرت سنته في عباده ، أن المقترحين للآيات على رسلهم ، إذا جاءتهم ، فلم يؤمنوا بها أنه يعاجلهم بالعقوبة ، ولهذا قال : ! 2! 2 أي : هو الذي يرسلها إذا شاء ، ويمنعها إذا شاء ، ليس لي من الأمر شيء . فطلبكم مني الآيات ، ظلم ، وطلب لما لا أملك ، وإنما توجهون إلى توضيح ما جئتكم به ، وتصديقه ، وقد حصل . ومع ذلك ، فليس معلوما ، أنهم إذا جاءتهم الآيات ، يؤمنون ويصدقون ، بل الغالب ، ممن هذه حاله ، أنه لا يؤمن ، ولهذا قال : ! 22 ! . ! 2 2 ! أي : ونعاقبهم ، إذا لم يؤمنوا أول مرة يأتيهم فيها الداعي ، وتقوم عليهم الحجة ، بتقليب القلوب ، والحيلولة بينهم وبين الإيمان ، وعدم التوفيق لسلوك الصراط المستقيم . وهذا من عدل ا ، وحكمته بعباده ، فإنهم الذين جنوا على أنفسهم ، وفتح لهم الباب ، فلم يدخلوا ، وبين لهم

الطريق ، فلم يسلكوا . فبعد ذلك إذا حرموا التوفيق ، كان مناسبا لأحوالهم . وكذلك تعليقهم الإيمان بإرادتهم ، ومشيئتهم وحدهم ، وعدم الاعتماد على ا من أكبر الغلط . فإنهم لو جاءتهم الآيات العظيمة ، من تنزيل الملائكة إليهم ، يشهدون للرسول بالرسالة ، وتكليم الموتى ، وبعثهم بعد موتهم ، ^ (وحشرنا عليهم كل شيء) ^ حتى يكلمهم ! 2 ! 2 ومشاهدة ، ومباشرة ، بصدق ما جاء به الرسول ما حصل لهم الإيمان ، إذا لم يشأ ا إيمانهم ، ولكن أكثرهم يجهلون . فلذلك رتبوا إيمانهم ، على مجرد إتيان الآيات . وإنما العقل والعلم ، أن يكون العبد مقصوده ، اتباع الحق ، ويطلبه بالطرق التي بينها ا ، ويعمل بذلك ، ويستعين ربه في اتباعه ، ولا يتكل على نفسه ، وحوله وقوته ، ولا يطلب من الآيات الاقتراحية ، ما لا فائدة فيها . ! 2 2 ! يقول تعالى مسليا الرسول صلى ا عليه وسلم وكما جعلنا لك أعداء يردون دعوتك ، ويحاربونك ، ويحسدونك ، فهذه سنتنا ، أن نجعل لكل نبي نرسله إلى الخلق ، أعداء ، من شياطين الإنس والجن ، يقومون بضد ما جاءت به الرسل . 2 ! 2 ! أي : يزين بعضهم لبعض ، الأمر الذي يدعون إليه ، من الباطل ، ويزخرفون له العبارات ، حتى يجعلوه في أحسن صورة ، ليغتر به السفهاء ، وينقاد له الأغبياء ، الذين لا يفهمون الحقائق ، ولا يفقهون المعاني . بل تعجبهم الألفاظ المزخرفة ، والعبارات المموهة ، فيعتقدون الحق